

المقطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٣ - الموافق ٣ محرم سنة ١٣٢١

حروف الطبع العربية

في الكون ناموسان او اسلوبان يجري الارتقاء على حسبها الاول التغيير الجزئي التدريجي من البسيط الى المركب ومن الساذج الى المتقن ومن الصعب الى السهل . والثاني التغيير الكلي الفجائي الذي يقلب الاشياء قلباً ويحولها من حال الى حال . ولكلٍ منهما شأن كبير في ارتقاء الموجودات جماداً كانت او نباتاً او حيواناً ومادبة كانت او اديئة . وعليهما جرى الناس في فلاحتهم وصناعاتهم وتجارتهم وامارتهم وسائر اعمالهم

والغالب ان الارتقاء الجزئي التدريجي يسير سيره زمناً طويلاً ثم يأتي الارتقاء الكلي الفجائي فيقلب الاشياء قلباً ويبدل حالها بحال اخرى لم تكن في الحبان . مثال ذلك ان المركبات التي تجرها الخيل والبغال لنقل الناس والبضائع جرت في سبيل الارتقاء التدريجي حتى كادت تبلغ اقصاهُ وحينئذٍ ظهرت الآلات البخارية والسكك الحديدية فابدت اساليب النقل القديمة باساليب جديدة كما هو معلوم . والسفن الشراعية تدرجت في سبيل الارتقاء والانتان حتى كادت تبلغ حدها وحينئذٍ ظهرت السفن البخارية فانقلبت بها الحال فجأة وصارت اكثر السفن بخارية الكبيرة منها والصغيرة . واساليب نقل الاخبار تنوعت وارتقت حتى كشف التلفراف الكهربائي ففاقها كلها وقام مقام اكثرها . والآت قد بلغ حداً يفوق التصديق من السرعة والدقة ولكن ظهر التلفراف الذي لا سلك له ولا يبعد ان يتغلب عليه ويقوم مقامه . وقس على ذلك امثلة كثيرة من هذا القبيل

ومعلوم ان افعال الشيء المتقن وابداله بغيره اصعب من افعال الشيء غير المتقن وابداله

بتغيره . اي ان الاشياء التي تكون غير متقنة يسهل تركها وابدالها بغيرها واما الاشياء التي
ينفع الصانع في انقائها يكثر استعمالها فيصعب تركها على مستعملها
وقد جرت الطباعة بحرى غيرها من الاعمال . وكان من نصيب العربية ان صُنعت لها
حروف الطباعة قبل ان صُنعت لأكثر اللغات لا لان اهلها اهتموا بذلك بل لان اهالي اوربا
كانوا يهتمون بكتب العرب وعلوم العرب فلم يكادوا يستنبطون الطباعة ويشعرونها في بلادهم
حتى صنعوا حروفاً للغة العربية وطبعوا بعض كتبها العلية الكبيرة . ونحن نكتب هذه السطور
الآن وامامنا بعض هذه الكتب منها قانون ابن سينا طُبع في مدينة رومية سنة ١٥٩٣ سنة
دار الطباعة الطيبة وطبعه واضح جداً ولو لم يُعدَّ جيلاً وحروفه متصلة بعضها ببعض احسن
اتصال وهي على استواء واحد في سبكها فلا يظهر بعضها غائراً في الورق وبعضها غير غائر فيه
كما ترى في الكتب المطبوعة بمطبعة بولاق . والحروف المستعملة في طبعه على ثلاثة اقدار
كبير ومتوسط وصغير . والكتاب ضخم فيه نحو الف صفحة بقطع كبير في الصفحة منها ٥٤ سطراً
ونسق طبعه واحد من اوله الى اخره . وامامنا ايضا كتاب تحرير الاصول الهندسية
لاقليدس الذي حرره نصير الدين الطوسي وقد طبع في رومية سنة ١٥٩٤ وحروفه مثل
حروف كتاب القانون تماماً وقد صورنا قطعة منه في الشكل الاول المقابل للدلالة عليه
وكان الطبع العربي معروفاً في اوربا قبل ذلك فطبع كتاب الزايمير في مدينة جنوى
سنة ١٥١٦ وطبع الانجيل العربي في رومية سنة ١٥٩١ وانتشرت الطباعة العربية في كثير
من المدن الاوربية فطبع الانجيل العربي في هولندا سنة ١٦١٦ والتوراة العربية في باريس
سنة ١٦٤٥ وفي لندن سنة ١٦٥٧ ووصلت المطبعة وحروف الطباعة العربية الى جبل لبنان
فطبع الزايمير في مطبعة الشوير سنة ١٦١٠
ثم اهتم الاوربيين بتعميل الحروف العربية فبانت اولاً ما تراه في اشكال مطبعة مالطة
التي انشأها المرسلون الاميركيون منذ نحو سبعين سنة كما ترى في الشكل الثاني وهو قطعة منقولة
عن تاريخ الكنيسة المطبوع في مدينة فالك سنة ١٨٤١ وبلغت اعلى درجات الاتقان الصناعي
في حروف مطبعة باريس كما ترى في الشكل الثالث فان كل حرف منها مرسوم رسماً جميلاً
من حيث الجزه الغليظ منه والدقيق والطبع يد على غاية الوضوح يبين يد الفراغ في رأس الفاء
والميم وهو في الاصل على ورق صقيل يصعب الطابع عليه عادة ومع ذلك لا ترى حرفاً ناتئاً ولا
حرفاً غير واضح ولا نظن انه استنبأ لاحد حتى الآن ان صنع حروفاً عربية ادق صناعة من
حروف مطبعة باريس هذه ولو كان بعضها غير جميل

الآن ان الذين صنعوا حروف الطباعة العربية حاولوا تقليد الخط تماماً وكان الخط قد ارتقى كثيراً وعلقت حروفه بعضها ببعض فلم يختر لهم انه يمكن فصلها وتبقى مقروءة ولو فعلوا وصنعوا حروفاً منفصلة خالية من الزوائد لكانت الفائدة اتم

وقد رأى اصحاب المطابع العربية من قديم الزمان انه يسهل اهل بعض الاشكال التي تستعمل في الخط ويبقى الطبع العربي واضحاً فاهلوا كثيراً منها رويداً رويداً حتى صار الطبع على ما تراه في الحروف التي نطبع بها المنتطف الآن . الآن مطبعة بولاق الاميرية بقيت محتفظة باشكالها الاولى لا تتحد عنها حتى دعت الحال ان انتدبت الحكومة المصرية لجنة نظري امرها وفي كيفية اصلاحها برئاسة صاحب السعادة ابراهيم باشا نقيب وكيل نظارة الداخلية وعضوية حضرات شيلوبك مدير المطبعة الاهلية والجريدتين الرسميتين والشيخ حمزة فتح الله المنتش الاول للغة العربية في نظارة المعارف العمومية وامين سامي بك ناظر المدرسة الابتدائية ومدرسة المعلمين الناصرية واحمد زكي بك سكرتير ثاني مجلس النظارة وليس منهم من اشتغل بالطبع العربي او يعمل الحروف العربية ولكنهم بحثوا بحثاً دقيقاً فاجلوا بحسبهم عن فائدة كبيرة كما سيجي وقد نشروا نتيجة بحثهم في رسالة وجيزة قال رئيسهم في مقدمتها ما نصه

”كان استنباط الطباعة العربية بمدينة البندقية فيما بين سنتي ١٥١٠ و١٥١٤ ميلادية . فقد ثبت ان اهل هذه الجمهورية هم اول من حفر الحروف اللازمة لطبع الكتب العربية ثم استخدموها في طبع كتب الادعية والصلوات . ولا تزال نسخ قليلة جداً من هذه الكتب محفوظة الى الآن باسهم المكتاب العمومية بديار اوربا

”في ذلك العصر كثرت العائلات والمخالطات بين اوربا واقطار المشرق فست الحاجة الى تعمير المعارف الشرقية بين الافرنج واضطرتهم الاحوال الى استخدام المطبعة لنشر آثار العرب في العلوم والآداب . فنهضت رومية العظمى وانتنت الخطة التي ساكتها البندقية في هذا الموضوع . وفي تلك المدينة الجليلة التي كانت عاصمة للحضارة العربية في قديم الزمان تم حفر الحروف العربية على قاعدة الشيخ في سنة ١٥٩٦ وهي المعروفة الى اليوم بحروف عائلة ميدسيس ”وقد استعارت باريس من رومية هذه الحروف النسخية ولا تزال بأكلها محفوظة فيها وفي مدرسة نشر الديباجة برومية الى الآن . وفي سنة ١٥٩١ اهتم الموسير - سقارى ده بريش سفير فرنسا لدى الباب العالي بحفر جملة أفلام (آباء) في الاستانة العلية على قاعدة الشيخ وهي محفوظة أيضاً في باريس لصب الحروف واستخدامها في مطبوعاتها العربية

”ثم ازداد اشتغال العلماء المعروفين بالمستشرقين باللغات والعلوم الشرقية فاستعارت المدارس الجامعة في إنجلترا وألمانيا حروف الطباعة العربية بعد تحسينها وانتقالها في رومية وكان تقدم الطباعة العربية بطيئاً في بلاد أوروبا لأن اشتغالها كانت بالطبع قاصرة على أعمال معينة قليلة . فلذلك لم يكن لها نصيب كبير من حركة الارتقاء التي نالتها الطباعة الانجليزية إذ ما برحت من عهد ظهورها سائرة الى يومنا هذا نحو الارتقاء والكمال ” ومع ذلك فقد بقيت الطباعة مجهولة في بلاد المشرق ما عدا الاستانة العلية وبعض الاديرة ببلاد الشام حتى اذا اغار بونابرت على مصر اضطر في اول الامر للاستعانة بمطابع الحجر على نشر منشوراته واوراق باللغة العربية . ثم انشأ مطابع الحروف فيما بعد بالقاهرة والجيزة والاسكندرية . ولكن ادوات هذه المطابع تلاشت مع الاحتلال الفرنسي ”

وامستطرد حضرة الرئيس بعد هذا المختصر التاريخي الى ذكر مطبعة بولاق التي انشأها محمد علي باشا سنة ١٨٢٠ فقال

”قامت هذه المطبعة باكبر خدمة للغة العربية والآداب الشرقية فانها اصحبت في مصروف بلاد المشرق كله واسطة لتعميم ثمرات التقدم الحديث ونشر لواء الحضارة العصرية . اذ تسر لنا بسببها ان نشترك في الحركة العظيمة التي ارتقت بها الافكار والمعارف في ديار أوروبا . وما زال المرحوم محمد علي الخالد الآثار في هذه الديار يبائع في العناية بشأن هذه المطبعة ويواليها باهتمامه الفائق حتى انها منذ انشائها ضارعت اعظم المطابع في عصرها بل فاقت عليها كلها بمجال مطبوعاتها وكثرة اعمالها . ولكنها بعد هذه النشأة الجيدة وبعد توالي نجاحها الظاهر الباهر وقفت في طريقها بل انحطت عن المكانة السامية التي بلغت في ايام محمد علي ”

”بقيت مطبعة بولاق منذ تاسيسها الى سنة ١٨٨٠ قاصرة على الطباعة الشرقية فصارت في تلك السنة مختلطة بانضمام المطبوعات الانجليزية الى اعمالها . وفي هذه الايام الاخيرة تم تجديد بنائها على نظام جميل واستوفت كافة المعدات الجديدة البالغة اعلی درجة من الاتقان والكمال . ولكن حروفها العربية التي اخني عليها الزمان بقيت على حالتها العتيقة مع ما فيها من التعقيد والسقامة

” لا مشاحة في ان الطريقة التي روعيت في ابتكار الطباعة العربية تدعو الى صعوبات كثيرة منها تعدد اشكال كل حرف من حروف الهجاء بحسب موقعه من الكلمة وضرورة تراكب بعض الحروف وتداخلها في بعضها ”

”وهذه الصعوبات تستوجب حتماً ان يكون عمل المطابع جسيماً لا تعادله النتيجة التي

يؤدي إليها . وفي ذلك مالا يخفى من مخالفة قواعد الاقتصاد التي يجب التعويل عليها في إيماننا هذه في كل مشروع صناعي . فلهذه الاعتبارات اضطرت أكبر المطابع في أوروبا للبحث عن الدواء الوحيد المقبول الذي ينبغي استعماله في مثل هذه الحالة ألا وهو تسهيل الطباعة العربية . فما زال اصحابها يواصلون السعي وراء هذه الغاية حتى لقد توصل بعضهم الى تخفيض عدد الحروف لدرجة يضطرون عليها . وكانت السابقة في هذا المضمار الى الآن مطبعة المدرسة الجامعة باكسفورد من بلاد الانكليز فانها تمكنت من اختصار الحروف الى ٢٨٢ فقط . اما مطبعة باريس الاهلية (وعدد حروفها لا يقل عن ٨٠٠ حرف) ومطبعة بولاق (يجرونها التي اوجدها محمد علي وعددها ٩٠٠ حرف) فقد بقيت كلتاها الى اليوم في معزل عن هذا التيار محرومتين من ثمرات ذلك التقدم والاختصار

ثم قال ان اللجنة اتت من اعضاءها وبها حضرة شيلو بك وحضرة احمد زكي بك ليدرسا في اشهر مطابع أوروبا التقدم الذي وصلت اليه الى ان قال

” وكانت مأهولة حضرة احمد زكي بك متعلقة على الاخص بالنظر في اختصار صندوق الطباعة وتسهيل جمع الحروف . وقد توصل بعد البحث والتدقيق الى تقليل عدد الحروف اللازمة للطباعة الى ١١٢ بدلاً من ٢٨٢ المستعملة الآن في أكسفورد . ولزيادة الوثوق كلنته اللجنة بعمل تجارب واختبارات يومية في مطبعة بولاق استمرت مدة ثلاثة شهور وكانت نتيجةها ناطقة بافصح بيان على ان الطريقة التي اختارها تكفي من كل وجه لجمع اي عبارة عربية او تركية او فارسية مهما كانت صعوباتها الخطية او المطبعية

” ثم قررت اللجنة ان تعهد عما قليل الى جماعة من مشاهير الخطاطين البارعين بكتابة الحروف تحت مراقبتها بحيث تجيء مطابقة من كل الوجوه لما تستدعيه صناعة الخط ومقتضيات الطباعة . وسبق اختيارها على من يلزم من الخطاطين ليتعاونوا على هذا المشروع ويكلموه طبق المرام . واذا دعت الضرورة فان اللجنة لا تتأخر عن الاستمانة بمهارة النابضين من اهل النون في الديار الاجنبية لتتم مقاصدها

ويتلوه ذلك مذكرة تفصيلية لحضرة زكي بك اشار فيها بالاختصار على ١٣٢ حرفاً و ٤٦ علامة بدل الحروف التسع مئة التي تستعمل في مطبعة بولاق . ولوعاني حضرة الطباعة العربية لرأى انها لا تسغني عن بعض الحروف الممدودة مثل ن و ك و يه حتى تكمل بها السطور الناقصة والا اضطرتنا احياناً ان نقسم الكلمة الواحدة قسمين في آخر السطر كما يفعل الاوروبيون . ولا بد ايضاً من جمع الشدة مع الضمة وتنوين الضم ومع الفتحة وتنوين الفتح

ومن سبك الحروف والارقام العددية على درجات مختلفة من الارتفاع حتى يمكن ترتيب الصور الحسائية والكميات الجبرية اذا اريد ابقاها عم الحساب والجبر في العربية . ولا بد من تجويد كل الحروف التي ذكرها من طرفين او من الاطراف الاربعة حتى يمكن وضع الحركات فيها ولا بد ايضا من انواع مختلفة من الفروق فاذا تم ذلك كله زاد عدد الاشكال مئة او مئتين عما قدر لها عدا العلامات المستعملة في التعاليم

وقال " ان اعتماد الطريقة الجديدة في مطبعة بولاق سيعود بفوائد كثيرة اقلها حصول وفرة في المعنىة نقول من الآن انه لا يقل عن ٢٥ في المئة " . وفسر المعنىة قبيل ذلك بانها " اجرة الجمع والتوضيب والطباعة ونحو ذلك " " وانه يترتب عليها تعميم المعارف وترقية الافكار بسبب رخص اثمان الكتب "

والحقيقة ان اجرة ترتيب الحروف وتفريقها لا تزيد على ٢٠ في المئة من نفقات طبع الكتب اذا كان المطبوع منها من الف الى التي نسخة كما هي الحال الآن واذا زاد المطبوع حتى بلغ خمسة آلاف نسخة الى عشرة آلاف كما تنتظر اذا انتشرت المعارف نقصت نسبة اجرة ترتيب الحروف وتفريقها الى نفقات الطبع كلها وصارت عشرة في المئة او خمسة في المئة فاذا كان الوفر ٢٥ في المئة في ترتيب الحروف وتفريقها (ولا يكون في غيرها) لم يزد هذا الوفر على اثنين في المئة من نفقات طبع الكتب

وحبذا الوقت الذي يصير فيه للثنتين في المئة من نفقات طبع الكتب شأن يذكر حتى نعم به المعارف وتعرف بالافكار . اما الآن فان اكثر الكتب التي تطبع تأكلها الجردان ومع ذلك فان الاصلاح الذي اشارت به اللجنة يصلح مطبعة بولاق حتماً ولو لم تنق به بعض مطابع العاصمة ولا بلغت به مطابع بيروت

وقد قدّمنا في فاتحة هذه المقالة ان الارتفاع الجزئي التدريجي لا يعني عن الارتفاع الكلي الفجائي بل ان الاول قد يؤخر الثاني او يحول دونهُ سنةً طبيعيةً لا مرداً لها وهي تُفتش على حروف الطباعة كما تُفتش على غيرها . ولا يخفى ان الغاية التي يري اليها طالبو الاصلاح والارتفاع هي ابعاد من ان يُجعل حرف الجيم وحرف الميم امام اللام لا تحتهما . هي ان تجعل حروف الطباعة منفصلة بعضها عن بعض كحروف الطباعة في اللغات الاوربية او ان تترك الحروف العربية وتفتس الحروف الاوربية دفعةً واحدة كما تترك اسلافنا الحرف الكوفي وكتبوا بالحرف النسخي . فان كانت الحكومة المصرية تنوي حقيقة ان تُصلح اصلاحاً كبيراً وتنفق عليه النفقات التي لا يستطيعها الفرد من افراد الامة لتفضل ذلك دفعةً واحدة والا فهذا الترتيق لا يعني ولا يشع

بل يؤخر الإصلاح الحقيقي او يحول دونه. وقد فعلت الحكومة المصرية مثل ذلك لما ادخلت سكة الحديد والتلفزيون والحاكم الاهلية الى بلادها لانها لو حاولت اصلاح ما كان عندنا حتى يصير مثل ما ادخلته لقتضت الاعوام الكثيرة من غير ان تدرك الغرض المقصود هذا ونكرر الشكر لعضوات اللجنة الكرام على المهمة التي بذلوها والمشقة التي كابدوها حتى قرؤوا على ما قرؤوا عليه من الإصلاح وهذا لو كان رأيهم مثل رأينا وهو الإصلاح الكلي دفعة واحدة فاننا نرجح انهم لو اشاروا على الحكومة بذلك لتبعت مشورتهم وعمت بها فافادت بلادها فائدة لا تقدر

السكة الهوائية

قلنا في المقالة السابقة ان الارتفاع الجزئي قد يحول دون الارتفاع الكلي ولم يحظر لنا حين كتابة تلك الكلمات ان نعود الى موضوعها في هذه البذرة فان الترامواي الكهربائي الذي شاع في هذه العاصمة وفي الاسكندرية فالتلف شوارعها وقتل كثيرين من عابري السبيل كان يمكن ان ينشأ ما هو اصح منه كثيرا لو تأخر انشاؤه الى الآن فقد رأينا صورة ترامواي كهربائي ينشأ في المانيا بين مدينة بارمن ومدينة البرفلد خطوط ممدودة في الهواء قائمة على دعائم من الحديد كقوائم القناديل التي تكون في الشوارع والمركبات تجري على هذه الخطوط مدلاة منها فلا تزدحم بها الشوارع ولا تدوس احدا في سيرها ولا يقع منها نار ورماد كما يقع من المركبات البخارية المعلقة في اميركا لانها لا تسير بالبخار بل بالكهربائية. ولا خطر من انقطاع اسلاكها ووقوعها على الناس والبهائم لانها لا تعلق بالاسلاك بل بقضبان من الحديد متصلة بعوارض متينة جدا. وتعلو المركبات عن ارض الشارع خمسة امتار فقط فيسهل الصعود اليها من الحطاط بلم قصيرة ولا تعيق المارة في سيرها ولو كانت جمالا جميلة

وطول المركبة من هذه المركبات ١٢ مترا وعرضها متران وتسع خمسين نفقا وفيها محرك كهربائي قوته ٣٦ حصانا يأخذ الكهربائية من قضبان الحديد المتصلة به. والمسافة من مدينة بارمن الى مدينة البرفلد ثمانية اميال وربع وسير المركبات المعلقة بينهما على غاية السهولة فقد وضعت فيها آنية مملوءة ماء وهي سائرة فلم ينصب شي من ماشها

فاذا ارادت مدن هذا القطر ان تستعمل الترامواي الكهربائي او غيره من وسائل النقل

فلتنظر اولاً في هذا النوع من الترامواي لانه اصح ما صنع حتى الآن